

تأصل جذور البلاغة في تاريخ ظهور الأسلوبية الحديثة

The origin of the eloquence roots in the history of the rise of the modern styling.

*بوقرقار ليلي

جامعة أحمد بن بلة 1 وهران، (الجزائر)، Leilaslmaniuniv@gmail.com

أ/د برونة محمد

جامعة أحمد بن بلة 1 وهران، (الجزائر)، medberrouna@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/06/01

تاريخ القبول: 2020/10/05

تاريخ الاستلام: 2019/10/03

ملخص: الأسلوب ذو جذور عريقة ترجع أصوله إلى علوم البلاغة، كونه لا يعدو أن يكون جزءا من التواصل البلاغي، فقد اختلف في طبيعة العلاقة القائمة بين البلاغة والأسلوبية، فمن الآراء من تقول أن الأسلوبية وريثة للبلاغة القديمة ومؤصلة لجذورها. تتقاطع معها في مواطن مختلفة ومشاركة، لتمثل أساسا متينا للمنهجية الأسلوبية، فالبلاغة أسلوبية القدماء التي تحقق بلاغة الكلام، وبهذه الخطوة تجاوزت الأسلوبية حدود المعيارية بنت علاقة تكاملية مع البلاغة التي يمكن تصورها علما مستقلا عنها، ليمثل الأسلوب فن البلاغة الحديث. كلمات مفتاحية: البلاغة، الأسلوب، علم الأسلوبية، بلاغة الكلام، المعيارية.

Abstract:

Style is rooted in rhetoric as it is (no more than) part of rhetoric communication, scholars / people don't agree on the nature of the relationship between rhetoric and style. Some believe/think that style originated from old rhetoric and from its basics since they share the same features/characteristics. Rhetoric is ancient stylistics that achieves eloquence. Accordingly, stylistics has gone beyond normative limits and built complementary relationship with rhetoric which is considered by its turn an independent science called modern rhetoric.

Key words: Rhetoric, Style, Stylistic, Eloquence, Normative

*المؤلف المرسل: بوقرقار ليلي، الإيميل: Leilaslmaniuniv@gmail.com

1. مقدمة :

هناك جدل واسع يتمحور حول العلاقة القائمة بين البلاغة والأسلوبية، وتكثر الأسئلة حول تأثير البلاغة في علم الأسلوب الحديث. فهل البلاغة المنشأ الأول للأسلوبية؟ أم أن الأسلوبية علم نقدي حديث المنشأ بمعزل عن تأثير البلاغة؟ وهل البلاغة حاليا قاصرة على معالجة النصوص الأدبية معالجة فنية ونقدية؟ أم أن الأسلوبية هي القاصرة على الإحاطة بالنص وتحليله؟ هذه الأسئلة تحيلنا إلى دراسة أساس العلاقة القائمة بين البلاغة القديمة والأسلوبية الحديثة. ولعل اختلاف الآراء يقودنا إلى التوصل إلى طبيعة هذه العلاقة فمن النقاد من رأى أن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة.

2. نشأة الأسلوب وتكوينه**1.2 نشأة علم الأسلوب:**

ارتبطت نشأة علم الأسلوب بظهور اللسانيات على يد "فريديناند دي سوسير" وكتابه (محاضرات في اللسانيات العامة)، والذي يشار إلى جهوده في هذا الميدان وخاصة فكرته في التفرقة بين اللغة والكلام التي اعتبرت أهم مبدأ اعتمدت عليه الأسلوبية، إذن فلا يمكننا اغفال أن النشأة الأولى للأسلوبية - انطلقت انطلاقا لسانية - فعلم الأسلوب مرتبط بعلم اللغة

الحديث، وقد استمر يعتمد بعض تقنياته ويمتزج به لتكوين أسلوبيات مختلفة. فكانت بمثابة الأرضية التي انطلق منها تلامذة "دي سوسير" للوصول إلى ما يسمى الأسلوبية من خلال التفريق بين اللغة *langue* والكلام *parole* وإذ كانت الدراسات اللغوية تركز على اللغة، فإن علم الأسلوب يركز على طريقة استخدامها وأدائها، إذ أن المتكلم أو الكاتب يستخدم اللغة استخداماً يقوم على الإنتقاء والاختيار، ويركب جملة ويؤلف بالطريقة التي يراها مناسبة.

ومن هذا المنطلق فإن الأسلوبية تركز بشكل وثيق ومباشر على عملية الإبلاغ والإفهام، بالإضافة إلى انتقالها الأساسي والجوهري إلى التأثير في المتلقي، وذلك من خلال ميل الكاتب ونزوعه الأكيد إلى أن يجعل كلامه مبنياً ومؤلفاً بطريقة يلفت فيها انتباه المتلقي لما يريد. ولذلك فإن الأسلوبية تسعى بكل تميز لدراسة الكلام على أنه نشاط ذاتي في استعمال اللغة¹ إذ ضبط علاقة اللغة بالكلام تأتي من أن اللغة أداة للكلام، والفرد لا يكتسب اللغة إلا بتعلمه الكلام وباختصار فإن اللغة قدرة لسانية، واللسان نظام لغوي والكلام قول خاص.² إن هذه الفكرة تبين لنا السمات التي تميز استعمال الفرد للغة، هذه السمات هي التي تكون الأسلوب، أو أن السمات المميزة التي تتخذها اللغة في كل استعمال هي التي سهلت في نشأة علم الأسلوب.

ونشير أيضاً إلى أن البداية الحقيقية للأسلوبية مرتبطة باللسانيات، ولا يمكن إنكار العلاقة بينهما التي هي علاقة منشأ ومنبت وإفادة. فالأسلوبية من الجهود اللسانية تشكل الأرضية التي خرجت منها، إضافة إلى أن متغيرات اللغة هي نقطة اهتمام الأسلوب، فقد أراد "شارل بالي" أن يجعل الأسلوبية فرعاً من فروع اللسانيات. تأسست أبحاث "بالي" على محاضرات "دي سوسير" فقام "بالي" بما لم يرقم به أستاذه. فكان المبتكر الحقيقي لعلم الأسلوب.³

فعلم الأسلوب فرعاً من فروع الدرس اللغوي الحديث، يهتم ببيان الخصائص التي تميز كتابات أديب ما أو تميز نوعاً من الأنواع الأدبية، بما يشيع في هذه أو تلك من صيغ صرفية مخصوصة، أو أنواع معينة من الجمل والتراكيب أو مفردات يؤثرها صاحب النص الأدبي.⁴ بمعنى أن الأسلوب لا ينفصل عن اللسانيات بل نشأته مرتبطة بالدرس اللغوي التي تتسم بها كتابات المبدعين أو الإبداع نفسه.

وإذا كان بعض الدارسين يرون أن الخصائص الأسلوبية بوجه عام. إنما تمثل اختيار الأديب لنمط لغوي بعينه من بين أنماط لغوية متعددة تتيحها لها الاستعمالات اللغوية الصحيحة، فإن آخرين يرون أنها خروج من النمط الشائع أو المؤلف، وأن الأديب لا يستعمل اللغة ذلك الإستعمال الذي يتعارف عليه سائر مستعملي اللغة.⁵

وفي البحوث الأسلوبية للنصوص الأدبية، ينبغي أن تستكمل دراسة أدب الأسلوب في مستوياته اللغوية باستخدام المقولات المتصلة بالأدب وبالعلوم الفلسفية والاجتماعية والتاريخية، ولعل نموذج العلاقة بين النظرية والبحث هنا لا يخلو من إشكاليات في مجال الأسلوب، تشبه ما وجده العلماء من علاقة بين علمي اللغة النظري والتطبيقي، ولا يمكن إقرار هذه العلاقة ما لم تقم على أساس البحث الأسلوبي، مثله في ذلك البحث اللغوي التطبيقي يستمد بعض مقولاته من العلاقة بين اللغة و الأدب من جانب و اللغة و الحياة من جانب آخر.⁶

2.2 تكوين الأسلوب:

إن تكوين الأسلوب أهم المظاهر لبراعة الكتاب و الشعراء، و أوضح معرض لقوة الإدراك و يقظة الشعور و جمال التدفق، لذلك كان الكاتب الأمين ذو الطبع الأدبي الصادق منصرف إلى تغيير الكلمات الفصيحة الدقيقة المعنى، المتلائمة مع أخواتها حتى تظمن عناصر العبارة في موضعها دون إكراه و حتى يجمع الأسلوب بين وضوح التفكير و جمال التصوير، و هذه

الدرجة تتطلب مرانة دائمة و صبرا طويلا و ذوقا جميلا صادقا و تملأ بجير الأساليب الأدبية فهما و نقدا و تمثلا . و يمكن للكاتب أن يلزم نفسه بأمرين اثنين ليوفر لنفسه الفوز بحسن التعبير :

الأول: الحرص الشديد على الدقة سواء في أداء الفكرة أو صوغ الخيال فلا يسمح بكلمة أو عبارة هي أقل أو أكبر من فكرته. كما يرفض إستعارة قبيحة أو كناية غامضة أو تعليلا غير حسن .⁷

الثاني: التصرف السديد في بناء الجمل والعبارات بتقديم بعض العناصر أو تأخيرها وبالقصر أو الفصل أو الوصل. حتى تكون العبارة صورة صادقة بما في نفسه من المعاني وما في وجدانه من تصور وموسيقى وذلك يتلخص في أن يكون الأسلوب للكاتب طبيعته الثانية، وبذلك يكون سهل الإنشاء، ويصدر عن صاحبه حديث أو محاضرة أو تأليف كأنه يتنفس أو يبصر و هذه آخر درجات القدرة البيانية .⁸ أي أن حسن الأسلوب يتأتى من خلال حسن التعبير عن طريق الجمع بين الوضوح و دقة التصوير و التركيب البناء للأفكار و المعاني .

3. بين البلاغة والأسلوبية :

1.3 تداخل البلاغة والأسلوبية:

علم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا ،لأن أصوله ترجع إلى علوم البلاغة، مصطلح أقرب من مصطلح البلاغة،وهو ما يوحي بأن مصطلح الأسلوبية ليس غريبا عن الثقافة العربية.⁹ تقيم البلاغة والأسلوبية منذ زمن علاقات وطيدة ،تتقلص الأسلوبية أحيانا حتى لا تعدو أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي وتنفصل أحيانا عن هذا النموذج وتتسع حتى لاتكاد تملأ البلاغة كلها ،باعتبارها (بلاغة مختزلة) ويصدق مثل هذا القول على العلاقة بين البلاغة و الأسلوبية من جهة و الشعرية من جهة أخرى،فالشعرية البلاغية كالتى شاعت في عصر النهضة ،تركز على المقومات البلاغية و على استعمالها ،في حين أن شعرية "ليوسيتزتر"1982م تعالج أدبية النص باعتبارها مجموعة من الخصائص الملازمة للغة الجمالية ،وقد أبانت هذه الترابطات عبر التاريخ عن تناقضات عدة .

فنظرية الأسلوب الزاهدة في الأثر و التأثير تتعارض مع البلاغة التي تسعى إلى الإقناع عن طريق الإحتجاج . وأخيرا فإن التصور المثالي للأدب يضع حدا واضحا بين الشعر والخطابة¹⁰. إن الشعرية تتجه نحو التركيز على مفهوم المحاكاة تجد نفسها مضطرة إلى التقليل بشكل ملحوظ من أهمية الأسلوب إذ لم يبلغ الأمر حد إلغائه وهذا العرض لا يهدف إلى تناول هذه العلاقات والتناقضات تناولا تاريخيا . بل تسعى أساسا إلى الإمساك بالمظهر النسقي وهو يقوم على الشرط التالي :

— يجب أن تفترض أن البلاغة والأسلوبية تمتلكان دلالة أساسية بالنسبة لنظرية الأدب

ويرفض الأسلوبيون اعتبار الأسلوبية هي البلاغة نفسها في العصر الحديث،لأن الأسلوبية إذا كانت قد اعتمدت علم البلاغة،فإنها اختلفت عنها في بعض المقاييس وهي وليدة البلاغة وأنها بديل لها.¹¹

فالدارسون في البلاغة و الأسلوبية اليوم يعترفون بوجود منطقة مشتركة بين البلاغة و الأسلوبية يعملون كما يعمل النص على دراستها و الإفادة منها ،خاصة ما يسمى (بالخزعة الأسلوبية) أو ما في النص من مؤشرات دالة أو ذلك وهي المؤشرات التي تتداخلها صور البلاغة ،حسن الجمال،الجمالية...

و الدارسون اليوم يعتبرون أن الإنحرافات التي في النسيج الكتابي الأدبي للنص هي التي تعكس هذه (المؤشرات الدالة) أو حزمها الأسلوبية ،وهناك تنكشف مجالات كل من البلاغة و الأسلوبية وآثار كل منها في الكتابة الأدبية للنص.¹² فقد كان

رصد أوجه الحسن في الأداء الفني بكل ألوانه المعروفة وهو البداية للدرس البلاغي و النقدي القديم، غير أن هذا المنهج الوصفي لم يستمر طويلا، حيث انقلب إلى معيارية خالصة، اعتبر فيها البلاغيون أنفسهم أوصياء على الإبداع الأدبي؛ من توصيات قنوها وجعلوها سيفا مسلطا على رقاب الأدباء، وتتمثل منهجية البلاغة في دراستها للتركيب اللغوي من حيث أدائه للمعنى من ناحية، ومن حيث مطابقته لحالة المخاطبين من ناحية ثانية، ثم يضاف إلى ذلك أمور تحسينية لا تتصل بالإفادة الأصلية.

ومن الملاحظ أنهم اتجهوا بكل ذلك كما فعلت الأسلوبية إلى الخطاب الفني، دون الخطاب العادي وأدركوا أن الوسائل التعبيرية البارزة هي مناط الإهتمام ومجال البحث ومركز الثقل، وتغاضوا عن جوانب أخرى كثيرة وهامة في الأداء الفني كالجوانب النفسية و الإجتماعية، وقد أتاح هذا القصور للأسلوبية الحديثة أن تكون وريثة شرعية للبلاغة القديمة، ذلك أن الأخيرة وقفت في دراستها عند حدود التعبير ووضع مسمياته وتصنيفها. وعند هذه الخطوة لم تحاول الوصول إلى بحث العمل الأدبي الكامل، وكان ذلك بمثابة تمهيد لحلول الأسلوبية في مجال الإبداع كبديل يحاول تجاوز الدراسة الجزئية القديمة، وإقامة بناء علمي يتعد عن الشكلية البلاغية التي أرهقتها مصطلحات البلاغيين.¹³

ارتبط مصطلح الأسلوب فترة طويلة بمصطلح البلاغة، حيث ساعد على تصنيف القواعد المعيارية التي تحملها البلاغة إلى الفكر الأدبي و العالمي، ومنذ عهد الحضارة الإغريقية وكتابات "أرسطو" على نحو خاص . اكتسبت كلمة الأسلوبية شهرة التقسيم الثلاثي الذي استقر عليه بلاغيو العصور الوسطى، حيث ذهبوا إلى وجود عدة ألوان من الأساليب هي: الأسلوب البسيط-الأسلوب المتوسط والأسلوب السامي.¹⁴

فبالأسلوبية تصافح الملفوظات الأدبية في حسيته المباشرة، فتكشف عن خصوصيتها، وبالتالي فرادتها، بينما تظل (البلاغة) عند قواعديتها، فتكشف عن حقيقة هذه الفرادة في كشفها عن الإنحرافات التي في الكتابة .

إن الذي أكد الصلات التي بين البلاغة و الأسلوبية رغم استقلال كل منهما عن الآخر، أو أيضا استغلال كل منها في مجاله الخاص؛ الآراء و النظريات التي صارت تقدم في الأدب و النقد الأدبي و الأسلوب، مثل خصوصية الأدب من الوجهة الجمالية أو حوارية الكلمة وخاصة في الرواية أو تحرير المتلقي من آلية المؤلف، استنادا إلى تعددية الصور البلاغية أو الشعرية كوظيفة في الخطاب الأدبي أو الرسالة الخالقة لأسلوبها وهكذا دواليك.¹⁵

توصل "عبد السلام المسدي" إلى نقاط الإتفاق بين الأسلوبية الحديثة و البلاغة القديمة، وقد قال بأن الترابط بين علوم البلاغة يشكل أساسا متينا للمنهجية الأسلوبية الحديثة.¹⁶

أما الهادي "الطرابلسي" عند حديثه عن علاقة الأسلوبية بالبلاغة، فرأى أن الإختلاف يكمن في المصطلح فقط، إذ أن تراثنا البلاغي القديم يزخم بالقضايا اللغوية و الجمالية، ولو وازنا بين البلاغة القديمة و الأسلوبية الحديثة لوجدنا أن الأسلوبية لا تبتعد كثيرا عن نظرية النظم التي كتبها "عبد القاهر الجرجاني" و التي خدمت المعنى والدلالة ونفت عن البلاغة اهتمامها بالشكل دون المعنى، ورأى أن الألفاظ تخدم المعاني وترتيبها في النص، ويكون بغاية إيصال الدلالة و توضيحها.¹⁷

كما تتفق البلاغة والأسلوبية بالرغم من كونهما علمين، لكون كل منهما له قواعده وركائزه في جملة من النقاط التي هي الحيز المشترك لهما في:

1- كانت البلاغة فنا للتعبير الأدبي وقاعدة في الوقت نفسه، وهي أيضا أداة نقدية تستخدم في تقويم الأسلوب الفردي، وهي فن أدبي، وهاتان سمتان قائمتان في الأسلوبية المعاصرة، كما أن البلاغة هي أسلوبية القدماء، وهي علم الأسلوب فما كان يمكن للعلم أن يدرك شيء.

2- إن مبادئ علم الأسلوب العربي قائمة على جذور لغوية وبلاغية، وهنا يمكن أن يكشف عن وجوه التلاقي بين تصور البلاغيين الغربيين للغة، وما ينتج عنه من فجوة أتاحت للدرس البلاغي العربي الظهور على الساحة الأدبية.

3- إن في تعريف البلاغة و الأسلوبية لقاء و مفارقة؛ فالبلاغة في تعريف البلاغيين العرب مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهذا يلتقي مع وجهة نظر الدرس الأسلوبي فيما يسمى بالموقف.¹⁸

4- لقد فصلت البلاغة العربية بشكل عام الشكل و المضمون، حيث ميزت في نطاق الشكل بين فصاحة المتكلم كما فرقت بين فصاحات المتكلم وبلاغته، وهذا الفصل بين الشكل و المضمون يعود إلى التمييز بين اللفظ وهو صورة العمل الأدبي، و المعنى هو مفهومه المراد.

5- ثمة التقاء بين الأسلوبية و البلاغة تتمثل في أنه إذا كان المنظرين لتحديد مفهوم الأسلوب يرون أن الخطاب يوائم بين طريقة الصياغة و أقدار سامعيه، فليس هذا إلا ترديدا لما قال به البلاغيون العرب في تعريف بلاغة الكلام، بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

6- يظهر التقاطع بين البلاغة و الأسلوبية من خلال علم المعاني، فعلم المعاني يهتم بدراسة الأسلوب و المعنى فقد اهتم البلاغيون العرب ببعض اللمحات الأسلوبية و جزئياتها، حيث كل كلمة يصاحبها مقام.

رغم الاختلاف و الاتفاق بين البلاغة و الأسلوبية، فإن هذا يؤكد العلاقة التكاملية بينهما، إذ لا يمكن للأسلوبية أن تكون بديلا عن البلاغة، فالبلاغة لا يمكن الاستغناء عنها و الأسلوبية لا تستطيع أن تقوم مقام البلاغة على الرغم من أنها تستطيع أن تنزل إلى خصوصيات التعبير الأدبي، في حين كانت البلاغة وحدها تعنى بها في التركيب و الدلالة على السواء.¹⁹

3.2 الفرق بين البلاغة و الأسلوبية:

تختلف البلاغة عن الأسلوبية باعتبارها جانبان يدرسان الأدب في النقاط التالية:

* إن المبدع في الأسلوبية هو الذي يبدع اللغة إبداعا يتناسب مع تكوينه النفسي و الاجتماعي و الثقافي.. فينشئ اتصاله خصائص فردية مميزة تؤثر في المتلقي، الذي يقوم بتحليل النص مبدئا خصائص مبدعه، بينما تغيب شخصية المبدع في البلاغة الغربية القديمة، التي اعتمدت على النماذج الراقية و المصطفاة.. وعلى بلاغة اللغة نفسها.²⁰

بمعنى أن المبدع في الأسلوبية يختلف عن المبدع في البلاغة؛ فالأول إبداعه يتناسب مع تكوينه النفسي أو الاجتماعي وغيره، إلا أن الثاني تغيب شخصيته الفردية حتى بلاغة اللغة.

* تهتم الأسلوبية اهتماما كبيرا بقضية الذوق الشخصي للمبدع، إذ أن المبدع يقوم باختياراته و تأليف نصوصه معتمدا على هذا الذوق الشخصي لا على مثال مصطفى أو مثال فوق الزمن، و من ثم فإن لكل مبدع أسلوب خاص به، وهذا الأسلوب يكشف خصائص المبدع و تجربته من جميع جوانبها.²¹

فبالأسلوبية تراعي الذوق الشخصي للمبدع، الذي يعتمد عليه في إبداعاته لا على منوال أو مثال مختار، و منه فلكل مبدع أسلوبه الخاص به، فهو بمثابة الصورة العاكسة لشخصيته و حتى لخصائصه الإبداعية المتعلقة بشخصه.

4. علاقة الأسلوبية بالبلاغة والنقد الأدبي

لا يمكن لباحث متذوق أو ناقد أن يتصور وجود أدب بلا أسلوب، مما يؤكد اتصال البحث الأسلوبى بالأدب ومن ثم يدعون إلى القول بأنه ثمة اتصال أكيد بين الأدب والأسلوب بالنقد الأدبي .

لقد أسهمت الدراسات القديمة في هذا المجال، وقدمت أفكارا يتصل بمفهوم الأسلوب وصلته بالأدب، بل وصل الأمر "بأفلاطون" وتلاميذه إلى أن تصوروا إمكانية فصل الأسلوب عن الأدب من منطلق أن هناك كتابات تخلوا من الأسلوب وكتابات أخرى يتحقق فيها هذا الأسلوب، وكان رد الفعل المباشر لمثل هذا الرأي أن اعتبر الأسلوب صفة لازمة لكل إبداع فني، وأنه يتدرج في منازل الجودة من أديب لآخر، حسب إمكانياته الفنية ومقدرته على الخلق والإبداع والابتكار .

وقد اتفق الشعراء والكتاب على أن الأسلوب هو مجال التفرد والتميز في أنه مزيج من الجمال الفني الذي يستطيع نقل الواقع وتصويره، كما أنه القادر على التعبير عن الرؤية العميقة للعالم، وقد يشترط توفر الموهبة في صاحب الأسلوب وقد يتغاضى البعض عن هذا الشرط.

"وأولئك متفقون على وجوده بشكل أو بآخر، ومتى تم الاتفاق على هذا الوجود فإن الأسلوبية هي ميدان التعامل معه، ومباحثها هي وسيلة إدراكه والوصول إلى أبعاده اللغوية . إن مناهج البحث الجديدة في دراسة الأساليب تعتمد على مجموعة من التحديدات التي لا تقبل كثيرا من الجدل والنزاع حولها، وعلى قمة هذه التحديدات اعتبار الأسلوب وسيلة بيانية للكتابة²². تتحقق على المستوى الجماعي بل وتتمايز المراحل التاريخية للفرد أو للعصر .

ونستطيع القول بأنها في هذا التحديد استندت على خطوط رئيسية، مازالت في حاجة إلى كثير من الدرس والبحث، حتى تتمكن من وضع الحلول النهائية التي تؤكد شرعيتها وحققها في الوجود، وربما كانت أهم الخطوط التي سارت فيها محاولة ضم مساحات واسعة كانت من اختصاص النقد الأدبي وحده "

"والأسلوبية حاولت تجنب المزالق التي وقعت فيها البلاغة القديمة من حيث إغراقها في الشكلية، ومن حيث اقتصرها على الدراسة الجزئية بتناول اللفظة المفردة ثم الصعود إلى الجملة الواحدة أو ما هو في حكم الجملة الواحدة وهذه الدراسة البلاغية كانت يوما أداة النقد في تقييم الأعمال الأدبية، وربما ساعدت هذه النقود البلاغية في خلق الأشكال الثابتة لمختلف الأنواع الأدبية، بما قدمته من نصائح وتوصيات وتقنيات صارمة وضعت بدقة بالغة ومع إقرارها بأن معظم معالمها قد استمدت من الدراسات النحوية واللغوية والفلسفية، لكنها تحولت في شكل قوانين كان الخروج عليها يمثل نكوصا بلاغيا ونقديا، أو على الأقل مخالفة للأرجح وبسببها يرفض الأسلوب ويمكن القول بأن الحركة الأدبية في الشعر والنثر قد أتاحت من الإمكانيات البلاغية التي تمثلت في وسائل تعبيرية محددة، أو بمعنى آخر وسائل تعبيرية (جاهزة) تسعى في كل مقام ومقال، ومن اللافت للنظر أن هذه الوسائل التعبيرية الموروثة أصبحت بشكل أو بآخر إحدى مجالات الدراسة الأسلوبية الحديثة .²³

"لا باعتبارها موروثة مقدسة، إنما باعتبارها إمكانيات لغوية من الممكن رصدها وتحليل العلاقات بينها، لاكتشاف النظام العام الذي يحكمها، لتبين البنية الجمالية التي تختفي ورائها، ولاشك في أن هناك فارقا بين أن نرصد مانواجه من شكل تعبيرى، وأن نضع القوانين المسبقة التي يتشكل على أساسها التعبير، ذلك أن الرصد عملية تالية تعتمد ما في التعبير عدول أو ما فيه أنماط تكرارية، وقد تتجاوز هذا أو ذلك إلى رصد خواص تعبيرية تميز بها أديب معين، أو عصر معين من الضروري أن نؤكد على أن الدراسة الأسلوبية لا تكتفي برصد الأشكال فحسب، بل إنها تتجاوز ذلك إلى عملية الكشف عن أفكار النص

الأدبي وجماليته، ومن خلال الربط بين الأدب ومادته الموروثة . ولهذا نرى اعترافا من الدارسين المحدثين بأن الأسلوبية – اليوم- تمثل محورا نقديا في إطار التركيبات الجمالية .²⁴

"فالأسلوبية مدرسة لغوية تعالج النص الأدبي، من خلال عناصره ومحتوياته الفنية، وأدواته الإبداعية من اللغة والبلاغة جسرا تصف به النص الأدبي، ومن ثم فالدراسة الأسلوبية عملية نقدية، تركز على الظاهرة اللغوية، وتبحث في اسس الجمال، والصحة مادة الكلام أما الجمال فجوهه، ولعل التقارب بين الأسلوبية والنقد يتم من خلال التعاون على محاولة الكشف على المظاهر المتعددة للنص الأدبي، ومن حيث التراكيب اللغوية والموسيقى .
25

أما فيما يتعلق بعلاقة الأسلوبية بالنقد فهناك توجهان :

أولهما : " من يرى أن الأسلوبية امتداد للنقد و ليست وريثة له ،سبب ذلك أن اهتمام الأسلوبية ينصب على لغة النص و لا يتجاوزها، أما النقد فاللغة هي أحد العناصر المكونة للأثر الأدبي .

ثانيا :يرى أن العلاقة بين الأسلوبية و النقد علاقة جدلية، قائمة على ما يمكن أن يقدمه كل طرف للآخر ،و على الرغم من نقاط الالتقاء بين الأسلوبية و النقد الأدبي إلا أن التكامل بينهما قد أعاقه _ كما يقول بعضهم _ تنافر لبينة الصورة التي قدم بها عالم البيانات نفسه ،إدعاء الدقة العلمية ،المبالغة في استخدام المصطلحات الرياضية و غيرها .

بمعنى أن هناك علاقة وثيقة بين الأسلوبية و البلاغة من جهة ،و بين الأسلوبية و النقد من جهة أخرى، فالأولى تكمن في أن محور البحث في كليهما الأدب و مادته ،فالأشكال البلاغية تمثل الجذور التي تنمو عليها المناهج الأسلوبية باختلافها ،لهذا لا يمكن الفصل بينهما بأي شكل من الأشكال . أما فيما يخص علاقة الأسلوبية بالنقد فهي علاقة متوترة جدلية تبتعد بعض الشيء عن التكامل .²⁶

5 . علمية الأسلوبية :

" برزت الأسلوبية علما جديدا من عباءة اللسانيات، و استوت علما متميزا ذا مناهج خاصة و توجهات معينة على مستوى التنظير و الممارسة معا، حالت دون أن تبقى البلاغة تتبوأ لنفسها مكانا بين الدراسات اللغوية و اللسانيات الحديثة ،و لم تشفع لها بقاء كثير من مباحثها في الأسلوبية.²⁷

" و رغم العلاقة الحميمة بين الأسلوبية و البلاغة، و نقاط الالتقاء الكثيرة بينهما، فإن الفرق الرئيسي بينهما²⁸، لا يكمن في التفاصيل الدقيقة، لكنه يتمثل في نقطتين أساسيتين هما : علمية الأسلوبية و شموليتها .

" لقد مهد اتصال الأسلوبية بعلوم اللسان الحديثة الطرق أمامها لتنهل من علميتها، و ذلك بتناول طرق علمية تستخدم في إنتاج الخطاب و تحليله، و ادراك أسراره لتتعدى مجرد تأثير الحديث في الجماهير، إلى كيفية التأثير فيهم فالأسلوبية محاولة منهجية تركز على فهم النص من خلال لغته لإدراك علاقته الداخلية و للكشف عن قيمة بنيته الفنية التي تتجلى فيها تحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية، وهي تنحو منحى علميا من حيث أن معطيات موضوعها تتجوهر حول مادة مجردة هي اللغة . مفهوما التجريد و التنظيم التقني هذان اللذان يميزان العلم، نلمسهما إذا تأملنا العلاقات الأسلوبية جيدا فهي تقوم على أساس دراسة الأسلوب أو دراسة الإبداع الفردي و تصنيف الظواهر الناجمة و تتبع الملامح المنبثقة .

حتى إذ بلغت عملية التصنيف درجة محددة في التجريد، الذي يسمح برصد أشكال التعبير وقوانينه العامة المستخلصة من البحوث التجريبية، المتوافقة أو المتخالفة معا ما استقر في الوعي النقدي من معطيات بدأت تتحسس وتلمس الاتساق والانتظام المعرفي والتقني فيها .

فهي تتعامل مع الخطاب قبل ولادته، باستخدام خلاصات دراستها للخطاب وبعدها فوجودها سابق لوجود الأثر الأدبي وتال له، هي لا تنطلق في بحثها من قوانين سابقة أو افتراضات جاهزة، كما أنه ليس من شأنها الحكم على قيمة العمل المنقود بالجودة أو الرداءة أو الاستناد في حكمها إلى معايير ومقاييس معينة في صورة مسلمات واشترطات، تهدف إلى التقويم الذي يسعى إلى غاية مرجوة يبلغ بها المنشئ إيصال فكرة أو معنى والتأثير والاقناع وبث الجماليات في النص، فالأسلوبية علم يدرس المتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي، للمتغيرات البلاغية إزاءه فحسب.²⁹

6. خاتمة:

- تعتبر اللسانيات الركيزة والأرضية التي انطلق منها الأسلوب، للوصول إلى ما يسمى الأسلوبية فهي تركز بشكل وثيق ومباشر بعملية الإبلاغ والافهام للتأثير في المتلقي. أي أن السمات المميزة التي تتخذها اللغة في كل استعمال هي التي سهلت في نشأة علم الأسلوب . ليرتبط الأسلوب باللسانيات، بل نشأته مرتبطة بالدرس اللغوي المميز لكتابات المبدعين .
- يعتبر تكوين الأسلوب أهم مظاهر براعة المبدعين لجمعه بين وضوح التفكير و جمال التصوير، وعلى الكاتب أن يلزم نفسه حتى يوفر حسن التعبير الحرص الشديد على الدقة في أداء الفكرة أو صوغ الخيال والتصريف السديد في بناء الجمل.
- تتداخل الأسلوبية مع البلاغة لتقييم علاقة تتقلص أحيانا وأحيانا تتسع باعتبارها بلاغة محتزلة . إذ يرفض الأسلوبيون اعتبار الأسلوبية هي البلاغة نفسها لاختلافها في بعض المقاييس، ويعترفون بوجود منطقة مشتركة بينهما، والانحرافات التي في النسيج الكتابي الأدبي هي التي تعكس العلاقة .
- لقد كان تغاضي البلاغة عن بعض الجوانب كالنفسى والإجتماعي قصورا لترثها الأسلوبية فترة طويلة . لتلتقي معها في كونها : فنا للتعبير وقاعدة في الوقت نفسه.
- مبادئ علم الأسلوبية العربي قائمة على جذور لغوية وبلاغية.
- رواد علم الأسلوب يرون أن الخطاب يوائم بين طريقة الصياغة وأقدار سامعيه وما هذا إلا ترديدا لما قال به البلاغيون العرب في بلاغة الكلام.
- تتفارق البلاغة عن الأسلوبية في : كون مبدع الأسلوبية هو الذي يبدع اللغة، بينما تغيب هذه الشخصية في البلاغة القديمة المعتمدة على بلاغة اللغة نفسها .
- تراعي الأسلوبية قضية الذوق الشخصي لا على مثال مصطفى كالبلاغة.
- للأسلوبية علاقة بالنقد الأدبي فلا يمكن تصور أدب بلا أسلوب، ما يؤكد اتصاله بالأدب، فهي ميدان التعامل مع مباحثه للوصول إلى أبعاد لغوية .
- حاولت الأسلوبية تجنب الوقوع في المزالق التي وقعت فيها البلاغة القديمة باغراقها في الشكلية واقتصارها على الدراسة الجزئية لتحمل معنى العلمية بمنهج وتوجهات خاصة في إنتاج الخطاب وتحليله كمادة مجردة ومنظمة.

7. قائمة الإحالات:

- 1_ موسى ربايعية، الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، دار الكندي الأردن- ط 1، 2003م- ص 09 .
- 2_ مونية مكرسي، التفكير الأسلوبي عند ريفاتير -جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010م- ص 09-10.
- 3_ ينظر الرجع نفسه- ص 11 .
- 4_ محمد عبد الله جبر، الأسلوب و النحو (دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية لبعض الظواهر النحوية)، دار الدعوة الاسكندرية، 1409هـ 1988م- ص 06.
- 5- الرجع نفسه- ص 49 .
- 6 _ محمد عبد المنعم الخفاجي، الأسلوبية و البيان العربي،الدار المصرية اللبنانية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة(، 1412هـ 1992م-ص 15.
- 7- أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1411هـ-1991م- ص 48.
- 8_ المرجع نفسه ص 49.
- 9_ عياد شكري،مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للطباعة و النشر،الرياض، ط1 - 1982م ص 7 .
- 10- هنريش بليث- البلاغة الأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص- ترجمة-د محمد العمري- إفريقيا الشرق بيروت- ط2-1999م- ص 19
- 11_عدنان بن ذريل، النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق(د ط)، 2000م ص 47 .
- 12_محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية، دار نويار، القاهرة، ط1- 1994م- ص 18 .
- 13- المرجع نفسه ص 259.
- 14_ محمد عبد المنعم الخفاجي، البلاغة و الأسلوبية و البيان العربي، ص 12.
- 15_ عدنان بن ذريل، النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق- ص 4 .
- 16_ عياد شكري،مدخل إلى علم الأسلوب ص 12 .
- 17_ ميس خليل محمد عودة، تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي و البلاغي (كتاب مفتاح العلوم للسكاكي) - ص 89 .
- 18- بشير تاويريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دار إريد، 1431هـ -2010م-ص 135.
- 19- المرجع نفسه-ص 136.
- 20- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية بين الرؤية والتطبيق، دار الميسرة، 1427هـ -2007م. - ص 183.
- 21- بشير تاويريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة -ص 149 .
- 22- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية-ص 351.
- 23- المرجع نفسه- ص 352
- 24- المرجع نفسه-ص 354
- 25- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية بين الرؤية والتطبيق-ص 52.
- 26- المرجع نفسه ص 52.
- 27- المرجع نفسهص 61.
- 28- بيير غيرو - الأسلوب والأسلوبية، تحقيق منذر عياشي، منشورات مركز الإنماء القومي، 1/1/1991، ص 5
- 29- رابح بوحوش - اللسانيات وتحليل النصوص ص 57..